رسالة

في معرفة النفس الناطقة واحوالها

لابي علي بن سينا *

نشرها وعلّق عليها

محمد ثابت الفندي

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (القاهرة)

مقدمة الناشر

ما زالت دراسة ابن سينا تتّسع للكثير من الجهود الموفّقة ، رغم ما نُشر له من المصنّفات وما كتب عنه من الكتب والمقالات. ولعلّ أولى تلك الجهود بالتقديم ما انصرف الى إحياء مؤلفاته التي لم تُنشر بعد ، والتي ما برحت مبعثرة هنا وهناك في مختلف مكتبات الشرق

والغرب. فجمعُ تلك المؤلفات وطبعُها طبعةً علميةً أمرٌ يحسّ ضرورته كل من حاول أن يدرس هذا الفيلسوف ، فألمّ بأسماء كتبه وعرف مـا بقي منها على قيد الحياة وما تصرّفت به أحداث الزمان ، وما طبع من ذلك الباقي وما لم يطبع بعد.

قدّمنا هذا بعد أن عكفنا على دراسة هذا الفيلسوف أعواماً عدّة وأحصينا مؤلفاته في ثبت جامع[1] ، وتلمسنا حياته وفلسفته في كل مظانّها ، فلم نزدد بعد هذا كله إلّا يقيناً بنقص تلك الدراسة لكثرة ما له من الكتب وأجزاء الكتب المخطوطة التي لم تمسسها يد ناشر بعد. لذلك صحّت منا العزيمة على أن ننشر ما وقع إلينا من مؤلّفاته أثناء دراستنا له[2] قبل الإقدام على إذاعة نتائج تلك الدراسة. ومن هذه المؤلفات « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها ».

أغفلت ذكرَها المراجعُ الاسلامية القريبة لعهده ، فلم يذكرها فيما ذكر له من الكتب : ابن القفطي ، وابن ابي أُصيبعة ، والسمرقندي[3] ، وظهير الدين البيهقي[4] ، وأحمد بن محمد الشهرزوري[5] ، وابن خلّكان. وأول من أشار إليها من مؤلفي الاسلام حاجي خليفة في كتـابه « كشف الظنون » ، ولم يذكرها باسمها بل اكتفى بأن قال : « . . . وله رسالة حررها في علم النفس وجعلها ثلاثة فصول أولها : الحمد لله الذي لا يخيب من بابه آمل »[6]. وذكرها من مؤلفي اوروبة بروكلمان بعنوان « رسالة في النفس النـاطقة وأحوالها »[7] . وأشار الى انها توجـد في برلين برقم ٥٣٤٢ . ولقد عثرتُ ، بعد البحث الطويل بين بضعة

---

١) سيُنشر هما قريب في القاهرة.

٢) من اهم هـذه المؤلفات : المباحثات ، المجموع ، الموسيقى (جزء من الشفاء) ، الردّ على المنجّمين ، النفس ، الشعريّات ، بعض كتاب الإنصاف ، ورسائل أخرى صغيرة.

٣) نظامي عروضي السمرقندي : جهار مقاله، الترجمة الانجليزية ، سلسلة جب التذكارية، انظر مواضع مختلفة.

٤) له كتاب في تاريخ حكماء الاسلام ؛ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٦٦ تاريخ.

٥) له كتاب في تاريخ الحكماء هو « روضة الافراح » مخطوط بمكتبة الجامعة المصرية

٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، طبعة بولاق ، ١ : ٤٣٤ ، س ١-٣

٧) Brockelmann, *Gesch. d. ar. Litt.* II, 454

آلاف من المخطوطات العربية والفارسية والتركية التي ضُمّت الى مكتبة الجامعة المصرية من مكتبة المرحوم محمد طلعت بك ، على نسختين من هذه الرسالة : إحداهما كاملة مستقلّة مكتوبة بخط فارسي واضح جميل ، عنوانها مخالف بعض المخالفة لما ذكره بروكلمان وهو « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها »[1] ، والأُخرى ناقصة وتوجد ضمن مجموعة خطية من الرسائل في نفس المكتبة[2] . كذلك توجد بدار الكتب المصرية صورة فوتوغرافية من نسخة برلين .

فلما اكتملت لي هذه النسخ الثلاث رأيت أن أعدّ هذه الرسالة للنشر بعد المقارنة والتصحيح . وقد رمزت لها على الترتيب بالحروف : ب ، ج ، د .

وليس في هذه الرسالة ما يدلّ على تاريخ تأليفها ، غير أن الناظر في كتب ابن سينا المختلفة قد يستطيع القول بأنها من أوائل تصانيفه ، ولعلها ترجع الى أيامه الاخيرة ببخارى (عاش بها الى ٣٩١ هـ = ١٠٠١ م ، وكان قد وُلد عام ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م) أو على الاكثر الى أيامه بكركانج عاصمة خوارزم (من ٣٩١ هـ = ١٠٠١م الى ٤٠٣ = ١٠١٢م) . لأنها تحمل في ثناياها « بذور » بعض براهينه على مغايرة جوهر النفس لجوهر البدن ، تلك البذور التي نجدها فيما بعد متزعزعة نامية في كتبه المتأخرة كالشفاء والاشارات مثلًا . فالبرهان الثاني في هذه الرسالة هو في الواقع الثالث من براهينه في كتاب الشفاء[3] (مع تفاوت واضح) لأن مؤدّاهما واحد هو إيجاد حالة نفسية تنفل فيها النفس تماماً عن كل ما هو بدني فلا تشعر إلا بإنيتها الخالصة ، فإذا وصلت الى ذلك استطاعت أن تدرك إن جوهرها مغاير لجوهر البدن[4] .

---

١) انظر المخطوط رقم ١١٧٧٦ بمكتبة الجامعة المصرية ، ص ١

٢) انظر المخطوط رقم ١٣٠٠١/١ بنفس المكتبة .

٣) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، المقالة الخامسة ، الفصل السابع ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤

٤) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، م ٥ ، ف ٧ ، ص ٢٦٤ ؛ وقد ذكر هذا البرهان ايضاً في موضع متقدم من الشفاء ، انظر النفس ، م ١ ، ف ١ ، ص ٢٨١ ، س ٢٢ وما بعده . ولم يذكره في النجاة ولكنه ذكره في الاشارات ، انظر طبعة ليدن ١٨٩٢ ، ص ١١٩ . وقد أثبت العلامة فورلاني Fourlani أن النصّين الواردين في الشفاء عن هذا البرهان كان قد نقلهما الى اللاتينية الفيلسوف غليوم اوفرني Auvergne ، وذهب هذا العلامة ، الى

والبرهان الثالث في هذه الرسالة هو أيضاً الاول في الشفاء.[1] ومؤدّاهما هو ضرورة وجود مبدأ واحد تجتمع فيه المدركات على اختلافها : ظاهرة وباطنة.

أمـا برهانه الاول في هذه الرسالة فلم نعثر له على نظير صريح في كتبه الاخرى[2] مما يجعل لهذه الرسالة قيمة خاصة في نظرنا.

وسنشير في التعليقات على هـذه الرسالة الى المواضع التي يمكن أن يرجع إليها في كتبه الاخرى كلما دعت الحاجة. وها هوذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة

في معرفة النفس الناطقة واحوالها

لأبي علي بن سينا

الحمد لله الذي لا يُخيِّب من بابه آمل ، ولا يُحرم عن جنابه عامل ، ولا يَحجب العـارفين عن ورود مناهل مشاهـدة أنوار جلاله مانعٌ وحائل ، ولم يمنع المشتاقين للقائه عن الصعود من حضيض الفراق الى أوج الوصـال ناقص

إمكان اطلاع ديكارت على هذه الترجمة للشبه القوي بين برهان ابن سينا المذكور وكلام ديكارت في التمييز بين الجسم والنفس (مقال *Avicenna Cartesio, Il Cogito, Ergo Sum* في مجلة *Islamica* ، ج ١ ، م ٣ ، ص ٥٢ وما بعدها ، ليبسك ١٩٢٧).

١) الشفاء، النفس ، م ٥ ، ف ٧ ، ص ٢٦٢

٢) قـد أورد ابن سينا براهين أخرى على مغايرة جوهر النفس لجوهر البدن في رسالة صغيرة عنوانهـا « النفس » أسماها براهين المناطقة (انظر النفس ، مخطوط رقم ٣٩٧ فلسفة بدار الكتب المصرية، الفصل الثامن).

أو كامل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له شهادة من أخلص لمشاهدة جلاله سِرَّهُ ، وعرض فى منازل[1] التوحيد على أعين النظار سِيَرَه ، وأشهد أن محمدًا عبـده ورسوله الذى عقد على أجياد أرواح الابرار قلائد الاسرار ، فصلوات الله عليه وعلى آله الاخيار . وبعد فهذه رسالة حررتُها في علم النفس ، وجعلتها ثلاثة فصول :

الفصل الاول فى إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن .

الفصل الثاني فى بقاء النفس بعد فناء البدن .

الفصل الثالث فى مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد مفارقة النفس عن[2] البدن .

ثم ألحقت بها خاتمـة أذكر فيها العوالم الثلاثة التى هى عالم العقل ، وعالم النفس ، وعـالم الجسم[3] ، وترتيب الوجود من لدن[4] الحق الاول الى أقصى مراتب الموجودات على الترتيب النـازل من عنده تعالى ، ليكون الناظر في هذه الرسالة مطلعاً على جُمل من أجناس المخلوقات وشطرٍ من أنواعها ، فاهديت[5] هذه الرسالة التى هى مشتملة على أهم المطالب وهو معرفة الانسان نفسه ومـا يؤول اليه حاله بعد الارتقاء[6] ، وأيضاً فإن معرفة النفس مرقاة الى معرفة الرب تعالى كما أشار اليه قائل الحق بقوله : « من عرف نفسه فقـد عرف ربه . »[7]

---

١) في ج : منازله . في ر : بياض .
٢) في ج : عن ناقصة .
٣) في ج : المادة بدل الجسم .
٤) في ر : لدى بدل لدن .
٥) في ب ور : فأهديته واهديته (على الترتيب) .
٦) في ب : « جذا » بعد الارتقاء .
٧) هـذا حديث في بعض المراجع ، قال كتاب « أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب » : « قال السمعاني إنه لا يُعرف مرفوعاً . وقال النووي ليس بحديث ، ونسبه بعضهم الى ابي سعيد الخراز ، وبعضهم الى يحيى بن معاذ الرازي » اه . وقد نسبه ابن سينا نفسه الى علي ابن ابي طـالب ، وذلك في كتاب « المباحثات » الذي جمعه عنه تلميذه كياريس ، انظر المباحثات ، مخطوط بالقاهرة رقم ٣٩٧ ، ص ١

ولو كان المراد بالنفس فى هذا الحديث هو[1] هذا الجسم لكان كل أحد عارفا بربه ، اعنى خصوص معرفة ، وليس كذلك ، فهذه الرسالة تهديك الى الاسرار المخزونة في عالم النفس الذى[2] غفل عنه الدهماء من الناس بل أكثر العلماء عنه غافلون . ولهذا أوحى الى رسول الله لما سئل عن حقيقة الروح « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ، ثم قال عقيبه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »[3] تنبيها على أكثر الناس عن النفس وحقيقة الروح . فهذا هو الاشارة المختصرة الى فوائد هذه الرسالة . فلنشرع فيما ذكر من الفصول بتوفيق الله وحسن هدايته :

الفصل الاول

فى إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن

فنقول : المراد بالنفس ما يشير اليه كل أحد بقوله « أنا » ، وقد اختلف أهل العالم[4] فى أن المشار اليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس أو غيره . أما الأول فقد ظن[5] أكثر الناس وكثير من المتكلمين[6] أن الانسان هو هذا البدن ، وكل أحد فإنما يشير اليه بقوله « أنا » ، فهذا ظن فاسد لما سنبينه .

---

١) في ب و ج : فهو .
٢) في ج : التي .
٣) الآية ٨٥ من سورة الاسراء ، ص ٢٧٦ من مصحف الملك .
٤) في ب : العلم .
٥) في ب : « ان » بعد ظن .
٦) نحت انظار المتكلمين في النفس نحوًا ماديًا في معظم الاحيان ، ولم يشذّ عن هذا المعتزلة انفسهم اذ نجد بعض زعمائهم كأبي اسحق ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام († ٢٢١ هـ = ٨٣٦ م) يذهب الى ان الانسان هو الروح وهي جسانية (الاشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، طبعة ريتر بالقسطنطينية ، ٢ : ٢٣١ ، ٢٣٢) ومنهم محمد بن عبد الوهاب ابن سلام الجبائي († ٣٠٣ = ٩١٥ م) الذي يذهب كذلك الى ان الروح جسم (المؤلف نفسه ٢ : ٢٣٤) .

والقائلون بأنه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا : فمنهم من قال إنه غير جسم ولا جسماني بل هو جوهر روحاني فاض على[1] هذا القالب وأحياه واتخذه آلة في اكتساب المعارف والعلوم حتى يستكمل جوهره بها ويصير عارفاً بربه عالماً بحقائق معلوماته فيستعد بذلك للرجوع الى حضرته ويصير ملكاً من ملائكته في سعادة لا نهاية لها ، وهذا هو مذهب الحكماء الالهيين والعلماء الربانيين ، ووافقهم في ذلك جماعة من أرباب الرياضة وأصحاب المكاشفة ، فإنهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند انسلاخهم عن أبدانهم واتصالهم بالانوار الالهية . ولنا في صحة هذا المذهب من حيث البحث والنظر براهين :

البرهان الاول :

تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً جميع عمرك حتى إنك تتذكر كثيراً مما جرى من أحوالك ، فأنت إذن ثابت مستمر لا شك في ذلك ، وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتاً مستمراً بل هو أبداً في التحلل والانتقاص ، ولهذا يحتاج الانسان الى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه ، فإن البدن حار رطب ، والحار إذا أثر في الرطب تحلل جوهر الرطب حتى فنى بكليته كما لو[2] يوقد عليه النار دائما فإنه يتحلل الى أن لا يبقى منه شيء ، ولهذا لو حبس عن الانسان الغذاء مدة قليلة نزل[3] وانتقص قريب من ربع بدنه ، فتعلم نفسك[4] أن في مدة عشرين سنة لم يبق شيء من أجزاء بدنك ، وأنت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة ، بل جميع عمرك ، فذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة . فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحواس والاوهام ، فمن تحقق عنده هذا البرهان وتصوره في نفسه تصوراً حقيقياً فقد أدرك ما غاب عن غيره .

---

١) « على » زائدة من الناشر .
٢) في ج ود : لو ناقصة .
٣) في ب : زل بدل نزل .
٤) في ج : نفساً .

البرهان الثاني :

هو أن الانسان إذا كان متهماً فى أمر من الامور فإنه يستحضر ذاته حتى إنه يقول إنى فعلتُ كذا أو فعلتُ[1] كذا ، وفى مثل هذه الحالة يكون غافلا عن جميع أجزاء بدنه ، والمعلوم بالفعل غير ما هو مغفول عنه ، فذات الانسان مغايرة للبدن.

البرهان الثالث :

هو أن الانسان يقول أدركت الشيء الفلانى ببصرى فاشتهيته أو غضبت منه ، وكذا يقول أخذت بيدى ، ومشيت برجلى ، وتكلمت بلسانى،وسمعت بأذنى ، وتفكرت فى كذا وتوهمته وتخيلتــه ؛ فنحن نعلم بالضرورة أن فى[2] الانسان شيئاً جامعاً يجمع[3] هذه الادراكات ويجمع[4] هذه الافعال ، ونعلم أيضاً بالضرورة أنه ليس شيء من أجزاء هذا البدن مجمعاً لهذه الادراكات والافعال، فإنه لا يبصر بالاذن ولا يسمع بالبصر ولا يمشى باليد ولا يأخذ[5] بالرجل ، ففيه شيء مجمع لجميع الادراكات والافاعيل الالهية ، فإذن الانسان الذي يشير الى نفسه « بأنا » مغاير لجملة أجزاء البدن ، فهو شيء وراء البدن.ثم نقول إن هذا الشيء الذى إنه هوية الانسان ومغاير لهذه الجثة لا يمكن أن يكون جسماً ولا جسمانياً ، لانه لو كان كذلك لكان أيضا منحلا سيالا قــابلا للكون والفساد بمنزلة هذا البدن فلم يكن باقيــا من أول عمره الى آخره ، فهو إذن جوهر فرد روحانى ، بل هو نور فائض على هــذا القالب المحسوس بسبب استعداده وهو المزاج الانسانى . والى هذا المعنى أشير في الكتاب الالهي بقوله :« فإذا سويته ونفخت فيــه من روحى »[6] ، فالتسوية هو جعل البدن بالمزاج الانسى

---

١) في كل النسخ : فعل .
٢) في كل النسخ : فى أن .
٣) في ب : يجمع بدل يجمع .
٤) في ب : ويجمع بدل ويجمع .
٥) في كل النسخ : تأخذ بدل يأخذ .
٦) الآية ٢٩ من سورة الحجر ، ص ٢٤٠ من مصحف الملك ؛ والآيــة ٧٢ من سورة الزمر ، ص ٦٠٤ من المصحف نفسه .

مستعدا لان تتعلق به[1] النفس الناطقة ، وقوله « من روحي » إضافة لهـا إلى نفسه لكونها جوهرا روحانيا غير جسم ولا جسماني .

فهذا ما أردنا أن نذكره في هذا الفصل .

الفصل الثاني

في بقاء النفس بعد بوار البدن[2]

اعلم أن الجوهر الذي هو الانسان في الحقيقة لا يفنى بعد الموت ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن ، بل هو باق لبقاء خالقه تعالى ، وذلك لان جوهره أقوى من جوهر البدن لانه محرك هذا البدن ومدبره ومتصرف فيه ، والبدن منفصل عنه تابع له ، فإذن[3] لم يضر مفارقته عن الابدان وجودَه ، إذ[4] البدن موجود باق بعد الموت فلأن لا يُضَر وجودُ النفس وبقاؤه كان أولى ولأن النفس من مقولة الجوهر ، ومقارنتـه مع البدن من مقولـة المضاف ، والاضافة أضعف الاعراض لانه لا يتم وجودها بموضوعها ، بل يحتاج الى شيء آخر وهو المضاف اليه ، فكيف يبطل الجوهر القائم بنفسه ببطلان أضعف الاعراض المحتاج اليه ، ومثاله أن من يكون مالكا لشيء متصرفاً فيه فإذا بطل ذلك الشيء لم يبطل المالك ببطلانه ، ولهذا فإن الانسان إذا نام بطلت[5] عنه الحواس والادراكات وصار ملقى كالميت ، فالبدن النائم في حالة شبيهة بحال الموتى كما قال رسول الله عليه السلام : « النوم أخو الموت »[6] . ثم إن الانسان في نومه يرى الاشيـاء ويسمعها بل يدرك الغيب في المنامات الصادقة بحيث لا يتيسر له في اليقظة ،

---

١) في ج : « به » ناقصة .

٢) راجع عن هذا الموضوع كتاب « النجاة » ، ص ٢٠٢ وما بعدها من طبعة القاهرة ١٣٣١ هـ .

٣) في ب : فاذ بدل فاذن . وفي د : فان بدل فاذن .

٤) في د : فان بدل إذ .

٥) في د : بطل بدل بطلت .

٦) لم اعثر عليه في كتب الحديث ولا في كتب الموضوعات .

فذلك برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج الى هـذا البدن ، بل هو يضعف بمقارنة البدن ويتقوى بتعطله ، فإذا مات البـدن وخرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن ، فـاذا كان كامـلا بالعلم والحكمة والعمل الصالح انجذب الى الانوار الالهية وأنوار الملائكة والملأ الأعلى انجذاب إبرة الى جبل عظيم من المغناطيس وفاضت عليه السكينة وحقت لـه الطمأنينة[1] فنودى من الملأ الأعلى : « يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »[2].

الفصل الثالث

فى مراتب النفوس فى السعادة والشقاوة بعد المفارقة عن الأبدان[3]

إعلم أن النفس الانسانية لا تخلو[4] عن ثلاثة أقسام : لانها إما أن تكون كاملة فى العلم والعمل ، وإما أن تكون ناقصـة فيهما ، وإما أن تكون كاملة فى أحـدهما ناقصة فى الآخر[5] . وهذا القسم الثالث على قسمين : لانها إما أن تكون كاملـة فى العلم ناقصة فى العمل أو بالعكس . فتكون أصناف النفوس بحسب القسمة الأولى ثلاثـة كما ورد فى القرآن :« وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحـاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » ثم قال « والسابقون السابقون أولئـك المقربون . »[6] فنقول أما الكاملون فى العلم والعمل فهم السابقون ولهم الدرجة القصوى فى جنات

---

١) فى ج : طمأنينة بدل الطمأنينة .

٢) الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ من سورة الفجر ، ص ٨٠٧ من مصحف الملك .

٣) فى ر : البدن بدل الابدان . وللاستزادة من هذا الفصل يمكن الرجوع الى النجاة ص ٤٧٧ – ٤٩٠

٤) فى ج وو : يخلو بدل تخلو .

٥) فى ب : الاخرى بدل الآخر .

٦) الآيات : ٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ من سورة الواقعـة ، ص ٧١٣–٧١٤ من مصحف الملك .

النعيم فيلتحقون من العوالم الثلاثة بعالم العقول ويتنزهون أن يقارنوا درن الاجسام ونفوس الافلاك مع جلالة قدرها ، فهؤلاء هم السابقون الذين هم فى المرتبة العليا . وأصحاب اليمين وهم فى المرتبة الوسطى يرتفعون عن عالم الاستحالة[1] ويتصلون بنفوس الافلاك ويتطهرون عن دنس عالم العناصر ويشاهدون النعيم الذي خلقه الله تعالى فى السموات من الحور العين[2] وألوان الاطعمة اللذيذة وألحان الطيور التى تقصر أوصاف الواصفين عن ذكرها وشرحها كما قال عليه السلام حكاية عن ربه :« أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[3] فهذه مرتبة المتوسطين من الناس . ولا يبعد ان يتمادى أمرهم الى أن يستعدوا للفوز بوصول الدرجة العليا فينغمسوا فى اللذات الحقيقية واصلين الى السابقين بعد انقضاء دهور تأتى[4] عليهم ، فهذه مرتبة أصحاب الشمال وهم النازلون فى المرتبة السفلى ،[5] المنغمسون فى بحور الظلمات الطبيعية ، المنتكسون فى قعر الاجرام العنصرية ، المنتحسون فى دار البوار ، وهم الذين « دعوا هنالك ثُبورًا[6] لا تدعوا اليوم ثُبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرا »[7]

فهذا[8] شرح أحوال الارواح البشرية بعد المفارقة عن الاجسام والمهاجرة الى دار الآخرة ، وقد اتفق على صحتها الوحى الالهى والآراء الحكمية كما شرحناه .

---

١) الاستحالة من حال بمعنى تبدّل وتغيّر ، وليست بمعنى الامتناع .

٢) في ب : والعين بدل العين .

٣) هذا من الاحاديث المتفق على صحتها ، رواه البخارى في كتاب بدء الخلق ، الباب الثامن ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ، وكذا الترمذي وابن ماجه واحمد في مسنده .

٤) في كل النسخ : يأتي بدل تأتي .

٥) في ب : « فَهُم » قبل « المنغمسون » .

٦) آخر الآية ١٣ من سورة الفرقان ، وهي : « واذا القوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا » .

٧) الآية ١٤ من سورة الفرقان .

٨) في ب وج : فهذه بدل فهذا .

خاتمة الرسالة

في ذكر العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل وعالم النفس وعالم الجسم[١] وترتيب الوجود من لدن الحق تعالى الى أقصى مراتب الموجودات على الترتيب النازل منه تعالى ، فنقول :

إن أوّل ما خلق الله تعالى جوهر روحاني هو نور محض قائم لا في جسم ولا في مادة ، دَرّاك لذاته ولخالقه[٢] تعالى ، هو عقل محض ، وقد اتفق على صحة هذا جميع الحكماء الالهيين والانبياء عليهم السلام كما قال صلعم : « أول ما خلق الله تعالى العقل ، ثم قال له [اقبل فاقبل ، ثم قال له][٣] ادبر فأدبر ، ثم قال فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز منك فبك أعطي وبك آخذ وبك أثيب وبك أعاقب »[٤] ، فنقول هذا العقل له ثلاثة[٥] تعقلات :

احدها أنه يعقل خالقه تعالى

والثاني أنه يعقل ذاته واجبة بالاول تعالى

والثالث أنه يعقل كونه ممكنا لذاته[٦] .

---

١) هذا الترتيب الثلاثي باسمائه ومعناه من الافلاطونية الجديدة Néoplatonisme ، ولعله قد وصل فيلسوفنا عن طريق رسائل اخوان الصفاء التي قرأها في حداثته (انظر البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٦٦٦ تاريخ ، ص ١٠١) او عن شروح فلاسفة تلك المدرسة على كتب ارسطو .

٢) في ب : وبخالقه .

٣) هذه الفقرة ناقصة في ب وج .

٤) روى هذا الحديث عبدالله بن احمد في زوائد المسند عن الحسن مرفوعاً باسناد جيد ؛ واخرجه الطبراني في الكبير والاوسط ، وكذلك ابو نعيم باسنادين ضعيفين ؛ واعتبره القاري وابن تيمية وغيرهما من الاحاديث الموضوعة ، ويشبه ان يكون الامر كذلك لصلته الوثيقة بنظرية صدور العالم عن العقل الاول ووساطة هذا العقل بين الله والعالم التي ابتدعتها الفلسفة الافلاطونية الجديدة لتفسير وتعليل فيضان الكثرة عن الوحدة المطلقة .

٥) في ب وج : ثلاث بدل ثلاثة .

٦) هذه هي المبادئ الثلاثة التي اعتمد عليها فلاسفة الاسلام في تفسير صدور الكثرة

فحصل من تعقله خالقه عقلٌ هو أيضا جوهرُ عقلٍ آخر، كحصول السراج من سراج آخر.

وحصلت[1] من تعقله ذاتَه واجبةً بالاول نفسٌ، هي[2] أيضا جوهر روحانى كالعقل، إلا أنه فى الترتيب دونه.

وحصل من تعقله[3] ذاتَه ممكنةً لذاته جوهرٌ جسمانى هو الفلك الاقصى[4]، وهو العرش بلسان الشرع[5]

فتعلقت تلك النفس بذلك الجسم، فتلك النفس هى النفس الكلية المحركة للفلك الاقصى كما تحرك[6] نفسُنا جسمَنا. وتلك الحركة شوقية بها تتحرك[7] النفس الكلية الفلكية شوقا وعشقا الى العقل الاول، وهو[8] المخلوق الاول، فصار العقل الاول عقلا للفلك الاقصى ومطاعاً[9] لـه. ثم حصل من العقل الثانى عقل ونفس وجسم: فالجسم هو الفلك الثانى وهو فلك الثوابت، وهو الكرسى بلسان الشرع وتعلقت النفس الثانية بهذا الفلك.

عن الوحدة، وهي كما ترى تجعل التكثر يبدأ بالعقل الاول من جهة اختلاف تعقلاته وهي: ١ً تعقله لله. ٢ً تعقله أنه واجب بوجوب الله. ٣ً تعقله انه ممكن لذاته.

١) في كل النسخ: حصل بدل حصلت، لان النفس مؤنثة كما في لسان العرب.

٢) في كل النسخ: هو بدل هي.

٣) في و: تعقل بدل تعقله.

٤) في ب: الاطلس بدل الاقصى.

٥) الى هنا ينتهي ما فاض عن العقل الاول تبعاً لاختلاف تعقلاته المشار اليها في المبادئ الثلاثة.

٦) في كل النسخ: يحرك بدل تحرك.

٧) في كل النسخ: يتحرك بدل تتحرك.

٨) في كل النسخ: هو بدل وهو.

٩) لم يسبق ان عثرنا على هـذا اللفظ في كتب ابن سينا الاخرى، وقد ورد في بعض كتب ابي حامـد الغزالي واثار إشكالاً في معرفة مدلوله، بيد انه هنا واضح المدلول لانه يطلق على العقل الاول، فان ابن سينا يريـد ان يقول ان العقل الاول يحرك جرم الفلك الاقصى لا كما تحرك العلة الفاعلة بل كما تحرك العلة الغائية، لذلك وصف تلك الحركة بانها شوقية عشقية، والمعشوق «مطاع» من عاشقه وليس فاعلاً للعشق او الحركة، كما لا يخفى.

وهكذا حصل من كل عقلٌ ونفس وجسم ، الى أن ينتهي الى العقل العاشر ، ثم حصل منه العالم العنصري . والعناصر أربعة : الماء والنار والهواء والارض ، وحصلت منها المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات والحيوان والانسان الذي هو اكمل الحيوانات وهو بنفسه يشبه الملائكة ، ويمكن أن يبقى بقاء السرمد إذا تشبه[1] بها في العلم والعمل ، ويصير هو أيضاً أخس[2] من البهائم والسباع إذا اتصف بأخلاقها داخل الارض واتبع هواه وكان أمره فرطا. وأما إذا تنزه عن طرفي الافراط والتفريط في الاخلاق وتوسط بينهما فلم يكن شبعاً ولا جائعا في القوة الشهوانية بل يكون عفيفا ، فان العفة توسط الشهوة ، ولا يكون أيضا متهوراً ولا جبانا بل يكون شجاعاً ، كسب القوة الغضبية ، فإن الشجاعة تتوسط[3] بين التهور والجبانة ، وكذلك له حكمة في المعيشة ، وهي[4] حُسْنُ التدبير فيما بينه وبين غيره إما بحسب أهل منزله الخاص وهو يتم بين زوج وزوجة ووالد ومولود ومالك ومملوك ، وإما بحسب أهل المدينة في المعاملات وفي السياسيات إن كانت[5] له رتبة في السياسة ، وهذه الحكمة توسط في تدبير نفسه وغيره دون الجَرْبَزة[6] والبلاهة . وهذه الحكمة غير الحكمة التي هي العلم بالحقائق فإن تلك الحكمة كلما كانت أشد إفراطاً كان أحسن ، وهذه الحكمة لا ينبغي أن تكون بالافراط وإلا لكانت جَرْبَزة ، ولا بالتفريط وإلا لكانت بلاهة.

وهذه الخصال الثلاث أعني العفة والشجاعة والحكمة هي التي سميت[7] «عدالة»، فالعدالة هي مجموع هذه الثلاث ، فمن اتصف بها وكان أيضا حكيما

---

١) في ج : شبه بدل تشبه.
٢) في كل النسخ : احسن بدل أخس كما يقتضيه سياق الكلام.
٣) في ب وج : يتوسط بدل تتوسط.
٤) في كل النسخ: هو بدل هي وذلك لان السياق يقتضي ان يكون العائد «حكمة».
٥) في كل النسخ : كان بدل كانت ، والعائد رتبة.
٦) « الجربز الخبّ من الرجال وهو دخيل ، ورجل جُربز (بالضم) بيّن الجَرْبَزَة (بالفتح) ، اي خب ، قال وهو القُرْبُز ايضاً ، وهما معربان » (اللسان ٧ : ١٨٣).
٧) في كل النسخ : سمي بدل سميت.

بالحكمة النظرية التي هي العلم بحقائق الاشياء ، فقد صار كاملا في العلم والعمل وصار من جملة من قيل في حقهم : « والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم »[١]

فإن قلت فهل يمكن أن تحد الحكمة النظرية تحديداً لا يمكن أن يكون أقل منه حتى تسعد[٢] بها[٣] النفس تلك السعادة فيكون من السابقين المذكورين؟ قلت يمكن ذلك التحديد بالتقرير فنقول :

ينبغي أن يكون عالما بوجود واجب الوجود تعالى وصفات جلاله ونعوت كماله وتنزيهه عن التشبيه ، ويتصور عنايته بالمخلوقات وإحاطة علمه بالكائنات وشمول قدرته على جميع المقدرات [ثم يعلم أن وجوده يبتدى من عنده سارياً الى الجواهر العقلية ثم الى النفوس الروحانية الفلكية ثم الى الاجسام العنصرية بسائطها ومركباتها من المعادن][٤] والنبات والحيوان ثم يتصور جوهر النفس الانسانية وأوصافها وأنها ليست بجسم ولا جسمانية وأنها باقية بعد خراب البدن إما منعمة وإما معذبة. فهذا القدر من العلم مُجمَلُه ومُفَصَّلُه[٥] هو القدر الذي إذا حصل للانسان استعد بالسعادة التي شرحنا حالها أعني سعادة السابقين الكاملين . وبقدر ما ينتقص علمه وعمله انتقص من درجاته وقربه من الله تعالى . وأما الذين قد انحطت رتبتهم عن درجة هؤلاء الكاملين علما وعملا وهم المتوسطون فيكونون إما كاملين في العمل دون العلم أو بالعكس فهم يكونون محجوبين عن العالم العلوى مدة حتى تنفسخ[٦] عنهم تلك الهيئات الظلمانية بتلك الاعمال الردية التي كانوا يعملونها في حياتهم الدنيا ، وتتقرر الهيئة النورية

---

١) الآية ١ و١١ و١٢ من سورة الواقعة ؛ ص ٧١٣-٧١٤ من مصحف الملك.
٢) في ب : يستعد.
٣) في كل النسخ : به بدل بها ، والعائد الحكمة النظرية.
٤) هذه الفقرة ناقصة من ج.
٥) في كل النسخ : مجملة ومفصلة بدل مجمله ومفصله.
٦) في كل النسخ : ينفسخ بدل تنفسخ.

قليلا قليلا فيتخلصوا الى عالم القدس والطهارة[1] ويلتحقوا بهؤلاء السابقين[2]. وأما الكاملون فى العلم دون العمل من القسمين المتوسطين وهم المتنزهون من أهل الشرائع الذين يعملون الصالحات ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويتبعون الانبياء فيما أمروا به ونهوا عنه ولكن لا تكون لهم زيادة بسط من حقائق العلوم ولا يعرفون أسرارها والاسرار والتنزيلات الالهية وتأويلاتها. فهم إذا تخلصوا عن أبدانهم انجذبت نفوسهم الى نفوس الافلاك وعرجوا الى السموات فشاهدوا جميع ما قيل لهم فى الدنيا من أوصاف الجنة فى غاية الشرف والرتبة يلبسون فيها من سندس واستبرق وحلوا أساور من فضة متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا، ولكن لا يبعد أن يفضى بهم الامر الى أن يرتقوا الى العالم العقلى والصقع الالهى فينغمسوا فى اللذات الحقيقة التى لا يمكن أن[3] يشرحها بيان ولا يكشف عنها مقال ولا يوازنها حال. واذ قد وصلنا الى هذا المقام وكشفنا هذه الاسرار التى عميت عنها أبصار أكثر الناس وغفلوا عن أنفسهم وأحوالهم على الحقيقة، فلنكتف بهذا القدر من الاستبصار للطالبين المسترشدين، جعلنا الله واياكم من المهتدين إنه هو البر الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين أجمعين.

تمت الرسالة الشريفة فى النفس الناطقة بتوفيق الله وبأمن جوده وكرمه.

---

١) فى ج : والطاهرة واظنها والطهارة.
٢) الى هنا تنتهي نسخة ج.
٣) فى ب : أن ناقصة.